الفصل الأول:

الأسلوبيــة بين النظريــة والتطبيــق

ظهرت في النقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر مجموعة من المناهج النقدية التي تهتم بدراسة النص الأدبي، إما من الناحية الدلالية والموضوعاتية ، وإما من الناحية الفنية والجمالية والشكلية والبنيوية والسيميائية. غير أن ما يلاحظ على النقد الأدبي - بصفة عامة- أنه قد كرس كل أدواته ومفاهيمه وآلياته الإجرائية لربط النص الأدبي بالمجتمع من جهة أولى، مع استجلاء أبعاد النفس الإنسانية من جهة ثانية، واستكشاف الدلالات والمواضيع من جهة ثالثة. ومن ثم، لم يهتم هذا النقد بالأسلوب واللغة اهتماما كبيرا، وبشكل كاف، إلى أن جاءت اللسانيات البنيوية والأسلوبية الأدبية.

ومن المعروف عند الباحثين و النقاد العرب أن درس الأسلوب قد اقترن في البداية بالتصور البلاغي التقليدي الذي كان يمجد الأسلوب الفصيح البليغ الرائع، والمعجز فنيا وجماليا، والمجود بصور المشابهة والمجاورة، والمزخرف بالمحسنات البديعية. ومن هنا، فقد كان الأسلوب المفضل هو الذي يتأرجح بين الجمل الخبرية و الإنشائية، ويتراوح بين التعيين والتضمين، بين الحقيقة والمجاز، والدلالة الحرفية والدلالة الإيحائية. علاوة على ذلك، فهو يخضع تداوليا للمقام والسياق مقالا وتلفظا، ويتلون بمجموعة من المحسنات البديعية لفظا ومعنى، ويحترم خصوصيات النظم العربي بناء وتركيبا وتضاما، ويتمثل شروط عمود الشعر، وخاصة إذا كان الأسلوب شعريا.

ومن ناحية أخرى، فقد ارتبط الأسلوب في الثقافة الغربية - بداية- بالبلاغة المعيارية. وبعد ذلك، اقترن بعبقرية الكاتب، ومهارته الفنية، وقدرته على الكتابة والخلق والإبداع. وفي المرحلة الرومانسية، توثقت صلة الأسلوب بفردية المبدع. و لقد أصبحت الأسلوبية، مع القرن العشرين، تخصصا علميا مستقلا، لها تصوراتها النظرية، ومفاهيمها التطبيقية ، وخاصة بعد ظهور اللسانيات، والشكلانية، والشعرية (Poétique)، والسيميائيات، والتداوليات، وجماليات التلقي...، لتعنى الأسلوبية بالخرق والانزياح، ودراسة الوظيفة الشعرية، والاهتمام بأدبية النص الأدبي، وتقعيد الأجناس الأدبية، ودراسة الإيحاء والتضمين، والبحث عن البنيات الأسلوبية في مختلف النصوص والخطابات .

وعليه، إذا كانت البلاغة علما تعليميا معياريا، يستعين بها المبدع في تجويد الكتابة خلقا وإبداعا وتعبيرا وأداء وإنجازا، فإن الأسلوبية فرع من فروع اللسانيات الحديثة، تهتم بإبراز الظواهر الأسلوبية المتميزة والمتفردة. وهي أيضا علم وصفي استكشافي بامتياز ، يسعى إلى جرد الخصائص الفنية والجمالية للأسلوب ، داخل سياقه الأدبي والإبداعي والتلفظي، سواء أكان ذلك نصا أم مؤلفا أدبيا. بمعنى أن الأسلوبية- حسب رومان جاكبسون(R.Jakobson)- تنكب على دراسة الوظيفة الشعرية أو الجمالية في أبعادها الاستبدالية والتركيبية[1]. إذاً، ما الأسلوبية؟ وما مقوماتها النظرية؟ وما تاريخها الغربي والعربي؟ وما أهم اتجاهاتها؟ وما سلبياتها وإيجابياتها؟

المبحث الأول: مفهـــوم الأسلوبيـــة

يقصد بالأسلوبية (**Stylistique**) دراسة الأسلوب دراسة علمية، في مختلف تمثلاته اللسانية والبنيوية والسيميائية والهيرمونيطيقية [2]. وتعد الأسلوبية أيضا فرعا حديثا من فروع اللسانيات إلى جانب الشعرية والسيميائيات والتداوليات. وتهتم بوصف الأسلوب بنية ودلالة ومقصدية. ويعني هذا أنها تختلف عن البلاغة الكلاسيكية ذات الطابع المعياري التعليمي، والتي كانت تهتم بالكتابة والخلق والإبداع، وتجويد الأسلوب بيانا ودلالة وسياقا وزخرفة، وتقدم للكاتب الناشئ مجموعة من الوصفات الجاهزة في عملية الكتابة، وتنميق الأسلوب بلاغة وفصاحة وتأثيرا. ومن هنا، فإن الأسلوبية هي دراسة الأسلوب في مختلف تجلياته الصوتية والمقطعية والدلالية والتركيبية والتداولية. ومن ثم، فهي تهتم باستكشاف خصائص الأسلوب الأدبي وغير الأدبي، مع جرد مواصفاته المتميزة، وتحديد مميزاته الفردية، واستخلاص مقوماته الفنية والجمالية، وتبيان آثار كل ذلك في المتلقي أو القارئ ذهنيا ووجدانيا وحركيا. ويعني هذا كله أن الأسلوبية تهتم بالأجناس الأدبية، وصيغ تأليف النصوص، والتركيز على

---

[1] - Jean Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique**, Larousse, Paris, France, 1991, p : 458.

[2] - تعني الهيرمونيطيقا الشرح والتفسير والتأويل.

الأساليب اللغوية الخاصة لدى مبدع ما، وتدرس أيضا أنواع الأساليب التي يستثمرها الكاتب.
هذا، وقد اشتقت الأسلوبية (Stylistique) في الثقافة الغربية من الكلمة اللاتينية (Stilus)، ومن الكلمة الإغريقية (Stylos)، ومن الكلمة الفرنسية أو الإنجليزية (Style). وتعني هذه المشتقات، في دلالاتها الأصلية، أداة الكتابة. وبعد ذلك، استخدمت الكلمة للدلالة على طريقة الكتابة أو فن الكتابة. ويعرف الأسلوب اصطلاحا بأنه" اختيار لغوي من بين بدائل متعددة، إذ إن الاختيار سرعان ما يحمل طابع صاحبه، ويشي بشخصيته، ويشير إلى خواصه"[٣]. كما تهتم الأسلوبية باللغة الأدبية، وتعنى بعطائها التعبيري[٤].
وعليه، فالأسلوبية هي مقاربة منهجية نظرية وتطبيقية، يمكن تمثلها في الحقل الأدبي والنقدي لمقاربة الظواهر الأسلوبية البارزة التي تميز المبدع، وتفرده عن الكتاب والمبدعين الآخرين.ومن جهة أخرى، تنكب الأسلوبية ، بصفة خاصة، على دراسة الأجناس الأدبية، وسبر أدبية النصوص والخطابات والمؤلفات، ودراسة الوظيفة الشعرية، والتمييز بين الأساليب حقيقة ومجازا، وتعيينا وتضمينا، مع رصد الأشكال والبنى الأدبية والسيميائية، واستكشاف بلاغة النص، وتحديد المستويات اللسانية للخطاب من: صوت، ومقطع، وكلمة، ودلالة، وتركيب، وسياق، ومقصدية، وربط ذلك كله بموهبة الفرد المبدع، أو العمل على دراسة الأسلوب في ضوء المعطيات النفسية أو الاجتماعية.

المبحث الثاني: موضـــوع الأسلوبيـــة

من الأكيد والثابت أن موضوع الأسلوبية هو الأسلوب بصفة عامة، إلا أن الأسلوبية تطرح مواضيع أخرى للتداول والمناقشة والتحليل والدراسة. ومن بينها: موضوع الكتابة والصياغة، وموضوع التلفظ، وثنائية التعيين

---

[٣]- صلاح فضل: **مناهج النقد المعاصر**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢م، ص:٨٩.
[٤]- بيير غيرو: **الأسلوبية**، ترجمة:منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري،حلب، سورية، ص:١٧.

والتضمين، و ثنائية التقرير والإيحاء، وثنائية الاتساق والانسجام، وقضية الانزياح، وقضية المسافة الجمالية في علاقتها بتخييب أفق الانتظار، وقضية التجنيس الأدبي في ضوء المعايير الأسلوبية والشكلية، والاهتمام بأدبية النص الأدبي، ودراسة الوظيفة الشعرية ، ورصد الصور البلاغية، ودراسة نظرية أفعال الكلام، والعناية بثنائية اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول...

هذا، ومن يتتبع تاريخ الأسلوبية الغربية، فسيجدها قد مرت بمراحل عدة: مرحلة أسلوبية المؤلف أو الكاتب، مصداقا لما قاله بوفون:" الأسلوب هو الرجل نفسه"؛ ومرحلة أسلوبية النص التي تبلورت مع الأسلوبية البنيوية والسيميائية؛ ومرحلة أسلوبية القارئ مع ميشيل ريفاتير(**M.Rifaterre**). واليوم، يمكن الحديث عن أسلوبية السياق والمقام مع نظرية أفعال الكلام وتصورات التداوليين.

المبحث الثالث: تاريـــخ الأسلوبيـــة

ظهرت الأسلوبية - تاريخيا - في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، على أنقاض البلاغة التقليدية التي استنفذت إمكانياتها التعليمية، فتحجرت مقاييسها المعيارية. ثم، أصبحت آفاقها المستقبلية مسدودة. لذلك، أعلن كثير من الدارسين موتها، كما فعل مؤخرا الناقد السعودي عبد الله الغذامي في كتابه:(**النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية الغربية**)[٥].

هذا، وقد نشأت الأسلوبية، باعتبارها بلاغة علمية جديدة، في أحضان الشكلانية الروسية والنقد الجديد، فاستلهمت تصورات الشعرية (Poétique)، ثم تمثلت مفاهيم اللسانيات بمختلف مدارسها، ثم استفادت مؤخرا من النظريات التداولية. وقد انتشرت الأسلوبية في مختلف الدول الغربية، كفرنسا، وروسيا، وألمانيا، وإيطاليا، وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية... وبعد ذلك، انتقلت الأسلوبية الغربية إلى الدول العربية عن طريق الترجمة، والمثاقفة ، والدرس الجامعي. وإن كان للعرب

---

[٥]- عبد الله الغذامي: **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

القدامى في الحقيقة أسلوبية متميزة أصيلة، قد سبقت بقرون كثيرة الأسلوبية الغربية، إلا أن الأسلوبية العربية الحديثة والمعاصرة تتسم بالنزعة التوفيقية بين الأسلوبية التراثية والأسلوبية الغربية المعاصرة.

وهكذا، يتبين لنا أن الأسلوبية قد ارتبطت بالتفكير حول الأسلوب، وإن كان هذا التفكير قد بدأ منذ القرن السابع عشر الميلادي، حيث ظهر النقد الأسلوبي الذي يعنى بعملية الكتابة الجيدة بدراسة المؤلفات الكلاسيكية، في ضوء تصورات معيارية وتعليمية. ومن جهة أخرى، فقد اقترنت الأسلوبية، في الفترة نفسها، بقولة بوفون(Buffon):" **الأسلوب هو الكاتب نفسه".** ويعني هذا أن المبدع لابد أن يتميز ، في كتاباته الإبداعية والوصفية، بأسلوب شخصي أصيل، يكون علامة دالة عليه[6]. ومن هنا، يتأكد لنا أن الأسلوبية قد ظهرت قبل ظهور اللسانيات الحديثة من ناحية أولى، و تبلورت مع موت البلاغة المعيارية من ناحية ثانية، لتتحول في سنوات السبعين من القرن الماضي إلى بلاغة جديدة أو أسلوبية جديدة من ناحية ثالثة.

وعلى العموم، يمكن تحديد مجموعة من المراحل التي مرت بها الأسلوبية الغربية، وهي: مرحلة المؤلف، ومرحلة النص، ومرحلة القارئ، ومرحلة السياق التداولي.

المبحث الرابع: مقومـــات الأسلوبيـــة

تنبني الأسلوبية، باعتبارها منهجية نقدية، ومقاربة أدبية، على مجموعة من المقومات والمرتكزات الإجرائية، وهي:

❶دراسة الأسلوب في مختلف تجلياته الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية.

❷ تجاوز البلاغة المعيارية والتعليمية نحو الدراسة الوصفية العلمية للأسلوب.

❸ تطبيق مفاهيم اللسانيات بمختلف مدارسها، وتمثل آلياتها التطبيقية والنظرية، في مقاربة الأسلوب تحليلا وتقويما وتشريحا.

---

[6] -Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov **: <u>Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage</u>**,Points,Editions de Seuils,Paris,1972,p :101.

❹ربط الأسلوب بنفسية المبدع، وانفعالاته الوجدانية، وتصوراته الذهنية.
❺ دراسة المعجم، والحقول الأسلوبية، والصور البلاغية، والتراكيب النحوية والبلاغية، والانزياح، والتعارضات الأسلوبية، ورصد أنواع الأساليب (السرد-الحوار- المنولوج..)، وتحديد طبيعة الوصف، ودراسة السخرية، والبوليفونية الأسلوبية، وتبيان علاقة ذلك كله برؤية الكاتب إلى العالم...
❻ ربط الشكل الأسلوبي بدلالاته ووظائفه الجمالية والمقصدية ، في علاقة مع ذات المبدع ومقاصده وأفكاره ومعتقداته. ويعني هذا أن الأسلوبية ذاتية أكثر مما هي موضوعية.
❼رصد الظواهر الأسلوبية البارزة في النص بأكبر قدر من الدقة والتجسيد، ولو باعتماد الإحصاء الرياضي.
❽ معرفة ديناميكية الكتابة الإبداعية في تولدها وتبلورها من جهة، وقيامها بوظائفها الجمالية من جهة أخرى[٧].
❾التركيز على مجموعة من المقولات الشكلية البارزة: الاختيار، والتركيب، والانزياح، والإيحاء، والوظيفة الشعرية، والتجنيس، والبوليفونية...
❿دراسة الظواهر الأسلوبية في سياقها النصي والتداولي والمرجعي، بالتركيز على ثلاث خطوات منهجية : البنية، والدلالة، والمقصدية.
هذه - إذاً- هي أهم المقومات والمرتكزات الجوهرية التي تنبني عليها المقاربة الأسلوبية في تحليل النصوص والخطابات الأدبية وغير الأدبية.

المبحث الخامس: أنـــواع الأسلوبيـــة

تداخلت الأسلوبية مع مجموعة من المعارف العلمية، فامتزجت باللسانيات، والبلاغة، والإحصاء، والأدب، والشعرية ، والسيميائيات، والنقد...لذا، أصبحنا – اليوم- نتحدث عن أسلوبيات عدة ومتنوعة، فهناك: الأسلوبية اللسانية، والأسلوبية العامة، والأسلوبية الأدبية، والأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية التأثيرية، وأسلوبية السنن أو الشفرة، وأسلوبية

---

[٧]- صلاح فضل: **مناهج النقد المعاصر**، ص:٨٨.

الرسالة، والأسلوبية الشعرية، وأسلوبية الجنس الأدبي، وأسلوبية الخطاب، وأسلوبية المبدع أو الكاتب، وأسلوبية المدرسة أو الحركة أو التيار الأدبي، والأسلوبية التكوينية، والأسلوبية الإحصائية، والأسلوبية الذاتية، والأسلوبية الموضوعية، والأسلوبية الوظيفية، والأسلوبية الشكلانية، والأسلوبية الموضوعاتية، والأسلوبية السيميائية، والأسلوبية الوصفية، والأسلوبية التأويلية أو التفسيرية، والأسلوبية النحوية،...إلخ. ويعني هذا أن ثمة مجموعة من الأسلوبيات الرائجة في الساحة الثقافية والنقدية. وما يهمنا من كل هذا هو الأسلوبية الأدبية التي أخذت نصيبا كبيرا من اهتمام النقد الأدبي.

المبحث السادس: اتجاهـــات الأسلوبيـــة

يمكن الحديث عن مجموعة من الاتجاهات الأسلوبية التي يمكن حصرها في ما يلي:

المطلب الأول: الأسلوبيـــة المثاليـــة

ترى الأسلوبية المثالية أن الأسلوب نتاج فكر فردي، يعكس شخصية الكاتب أو المؤلف، ويستجلي إرادته ومزاجه وثقافته وعوالمه النفسية والاجتماعية. وهذا يشبه ما قالت به الوضعية العقلية أو المثالية الفلسفية. ويمثل هذا التصور كل من فاندت(Wendt)، وهيجو شوشاردت(Hugo Ernst Mario Schuchardt)، وكارل فوسلر(Karl Vossler)، وبنديتو كروتشه(Benedetto Croce)... ويتم التركيز في هذا التصور على أن العقل أو الذهن هو المصدر الحقيقي للإبداع الأدبي. ومن هنا، فإن الأسلوب هو أس الانسجام والاتساق المتحققين في النص الإبداعي. ومن ثم، يعبر عن شخصية المبدع وفردانيته. ومن ثم، فالأسلوب هو صورة الروح.

المطلب الثاني: الأسلوبيـــة التعبيريـــــة

تعد أسلوبية شارل بالي(Charles Bally) أولى أسلوبية بلاغية ظهرت بالغرب سنة ١٩٠٥م[٨]. وليست منهجية بالي في الأسلوبية معيارية كالبلاغة القديمة، بل هي بمثابة منهجية وصفية، لا تهتم لا بالأدب، ولا بالكتاب المبدعين، بل تركز بصفة عامة على أسلوبية الكلام، دون التقيد بالمؤلفات الأدبية. ومن ثم، ينطلق بالي من فكرة محورية ألا وهي: أن اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف.لذا، فالأسلوبية عنده هي التي تهتم بالتعبير عن العواطف والمشاعر والانفعالات.ويعني هذا أن أسلوبيته تعبيرية وانفعالية. و ينضاف إلى ذلك، أن أسلوبية شارل بالي لا تهتم بالملفوظ أو المقول، بقدر ما تهتم في البداية بعملية التلفظ أو التعبير.

هذا، ويميز بالي بين نوعين من العلاقات التلفظية، نوع يسميه بالآثار الطبيعية، ويسمي الثاني بآثار الإيحاء. ترتبط الآثار الأولى برصد مشاعر المتكلم.وترتبط الآثار الثانية بسياقه اللساني . ويمكن رصد هذه الآثار جميعها عبر آليات المعجم من ناحية، وآليات التركيب من ناحية أخرى. ويترتب عن هذا وجود أشكال متشابهة على مستوى الفكر، مع وجود حمولات انفعالية ذاتية مختلفة على المستوى الوجداني والعاطفي[٩].

هذا، ويهتم بالي بأسلوبية اللغة. في حين، يعتني بوفون وجورج مونان بأسلوبية الأدب.بمعنى أن بالي منشغل بالمظهر اللغوي للأسلوب خارج الأدب، وبالمظهر العاطفي الذي يشكل السمة الحقيقية لهذا الأسلوب.

وفي السياق نفسه، يمكن الحديث عن أسلوبية ماروزو (**Marouzeau**)[١٠] وكروصيه (**Crosset**) التي تنبني بشكل منهجي على وصف الأصوات والفونيمات، وتحليل وحدات الكلام، واستكشاف المعطيات التركيبية والمعجمية داخل النصوص والمؤلفات الكلاسيكية.

---

[8] -Charles Bally **: Traité de stylistique française**.١٩٠٩

[9] - Oswald Ducrot/Tzvetan Todorov **: Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage**.p :10٢.

[10] - Jules Marouzeau : **Précis de stylistique française**.Paris1965.

المطلب الثالث: الأسلوبيــة اللسانيــة

يعد فرديناند دوسوسير (**Ferdinand de Saussure**)المؤسس الحقيقي للأسلوبية اللسانية. كما يتجلى ذلك واضحا في كتابه:(**محاضرات في اللسانيات العامة**)[11]، حيث بلور مجموعة من المستويات اللسانية لها علاقة بالأسلوب، كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي. وقد تبنى دوسوسير دراسة اللغة بدل الكلام؛ لأن الكلام فعل حر فردي منعزل، من الصعب دراسته، وتجريده، وتصنيفه. على عكس اللغة، فهي ظاهرة اجتماعية وثقافية تتسم بالثبات، ويمكن رصدها بشكل لائق صوتيا وصرفيا ودلاليا وتركيبيا. علاوة على ذلك، فقد ناقش دو سوسير قضية الدال والمدلول في علاقتهما بالمرجع، وقد دافع أيضا عن دراسة اللغة سانكرونيا بدل دراستها دياكرونيا وتاريخيا . واهتم أيضا بالعلاقات الاستبدالية والتركيبية في دراسة اللغة، وميز بين الأسلوب التقريري الحرفي والأسلوب المجازي الموحي. ومن ثم، أصبحت الأسلوبية جزءا أو شعبة من شعب اللسانيات العامة؛ لأنها تستعين باللسانيات، وتستعير منها مفاهيمها التطبيقية، وتقتبس منها تصوراتها النظرية...ويعني هذا كله أن الأسلوبية الغربية بصفة عامة، والأسلوبية الفرنسية بصفة خاصة، قد استفادت كثيرا من آراء فرديناند دوسوسير. وفي هذا السياق نفسه، يمكن استحضار رولان بارت الذي تحدث بدوره عن مجموعة من المفاهيم اللسانية التي أصبحت مقولات أسلوبية، كالدال والمدلول، واللغة والكلام، والتقرير والإيحاء، والتركيب والاختيار...كما يبدو ذلك جليا في كتابه (**عناصر السيميولوجيا**)[12]...

---

11 -Ferdinand de Saussure : **Cours de linguistique générale**,Payot,Paris,France1967.

12 -Roland Barthes : **Eléments de sémiologie**,Edition de Seuil,Paris,1964.

المطلب الرابع: الأسلوبيـــة الجديـــدة

يعد ليوسبيتزر (Leo Spitzer) من رواد الأسلوبية المعاصرة[١٣]، فقد اهتم في البداية بربط النص في مختلف تجلياته الأسلوبية بنفسية المبدع أو الكاتب، متشبثا بمقولة بوفون مرة أخرى:" الأسلوب هو الكاتب نفسه".إلا أن ليو سبيتزر كان يعنى برؤية الكاتب إلى العالم أكثر من اهتمامه بتفاصيل سيرته الذاتية، واستقصاء جزئيات حياته الفردية والبيوغرافية. وفي المرحلة الثانية، تخلى ليو سبيتزر عن فكرة الكاتب الخارجي الذي يحيل عليه النص أسلوبيا ليهتم بالإجراءات الأسلوبية، ويعنى بأنظمتها البنيوية الحاضرة في النص. وقد تحدث ليو سبيتزر عن الأثر الأسلوبي الذي يعد عنده مفهوما اصطلاحيا واسعا، ويشمل الفكر والعاطفة معا. وما يميز الأثر الأسلوبي عنده هو تأثيره على القارئ أو المتلقي من خلال فرادة الأسلوب، أو انزياحه، أو غموضه وإبهامه، أو عدم استساغته ضمن سياق إبداعي ما، أو بروزه بشدة. وما يميز سبيتزر أيضا أنه اهتم بدراسة المؤلفات في ضوء أسلوبية معاصرة، ولم يهتم باللغة في عموميتها. وقد ركز كذلك على خصوصية اللغة، وفرادة الأسلوب، وتميزه الخاص... ومن ثم، فشخصية الكاتب هي التي تضفي على العمل الأدبي اتساقه وانسجامه. كما أن خصوصية الأثر تتجلى في الانزياح عن المعيار أو المألوف.

المطلب الخامس: الأسلوبيـــة البنيويـــة

ظهرت الأسلوبية البنيوية في سنوات الستين من القرن العشرين، مع أعمال كل من: رومان جاكبسون، وتودوروف، وكلود بريمون، ورولان بارت، وجيرار جنيت، وجماعة مو، وجون كوهن، وجوليا كريستيفا، وكريماص، وجوزيف كورتيس، وميشيل ريفاتير (M.Rifaterre) الذي كتب مجموعة من المقالات النقدية والأدبية. وقد توجت هذه الأبحاث كلها بكتاب في السبعينيات من القرن نفسه تحت عنوان: (**أبحاث حول**

---

[13] -Léo Spitzer **: Etudes de style**.Paris1970.

الأسلوبية البنيوية)[١٤]. ومن ثم، فقد اهتم ريفاتير بلسانية الأسلوب ، وتفكيك الشفرة التواصلية في إطار علاقة المرسل بالمرسل إليه. ومن ثم، فقد ركز على آثار الأسلوب في علاقتها بالمتلقي ذهنيا ووجدانيا. كما ربط الأسلوبية باستكشاف التعارضات الضدية، وتبيان الاختلافات البنيوية التي يتكئ عليها أسلوب النص.علاوة على هذا، فقد اهتم بالانزياح في تعارضه مع القاعدة والمعيار، واعتنى أيضا بدراسة الكلمات في تموقعها السياقي. بمعنى أنه كان يدرس الأساليب بنيويا وسياقيا.وبعد ذلك، انتقل ميشيل ريفاتير إلى سيميوطيقا الشعر وإنتاج النص[١٥]، مركزا بشكل خاص على القارئ النموذجي في استكشاف الواقعة الأسلوبية فهما وتفسيرا وتأويلا.

المطلب السادس: الأسلوبيـــة الإحصائيـــة

يعد بيير غيرو (Pierre Guiraud)من رواد الأسلوبية الإحصائية[١٦]. دون أن ننسى شارل مولر(Ch.Muller) في كتابه (**المعجمية الإحصائية: مبادئ ومناهج)**[١٧]. وقد اهتم بيير غيرو خصوصا باللغة المعجمية[١٨] ، موظفا المقاربة الإحصائية في استكشافها.أي: لقد ساهم غيرو في تأسيس موضوعاتية إحصائية، برصد بنيات المعجم الأسلوبي لدى مجموعة من المبدعين، مثل: فاليري، وأبولينير، وكورناي...مع تتبع المعجم إحصائيا في المؤلفات الأدبية، باستقراء الحقلين: الدلالي والمعجمي. ومن ثم، فقد اهتم بالكلمات- الموضوعات (التيمات) التي تميز كاتبا أو مبدعا ما، مستثمرا آليات الإحصاء، كالتكرار، والتردد، والتواتر،

---

14 - Michael Rifaterre : **Essais de stylistique structurale**. Flammarion, 1971.

15 -Maurice delcroix et Fernand Hallyn et autres :**Méthode du Texte**,Duculot,Paris,1987,p :90-91.

16 - Pierre Guiraud : **La stylistique**, P.U.F.1972.

17- Charles MULLER : **Principes et méthodes de statistique lexicale**. – Champion.١٩٩٢

18 - Pierre Guiraud : **Les Caractères statistiques du vocabulaire**. P.U.F.1954

والضبط، والعزل، والجرد، والتصنيف...أي: كان يهتم بكل ما يتعلق بأسلوبية المؤلف، ويشكل هويته، ويبين فرادته، ويؤكد تميزه الإبداعي[١٩].
وعلى العموم، فلقد انصب بيير غيرو على دراسة المعجم في المؤلفات الأدبية المتميزة بتوظيف الإحصاء، واستلهام المقاربة التاريخية التطورية للكلمات (ETHMOLOGIE).ويتضح ذلك جليا في كتابه (**اللسانيات الإحصائية: المناهج والمشاكل**)، وفي كتابه الآخر (**البنيات الاشتقاقية للمعجم الفرنسي**)[٢٠] الذي يتتبع فيه الباحث تاريخ الكلمات الفرنسية.

المطلب السابع: الأسلوبية البوليفونية

ارتبطت الأسلوبية البوليفونية بميخائيل باختين(M.Bakhtine)، وتعنى بالتمييز بين الرواية المنولوجية والرواية البوليفونية.وإذا كانت الرواية المنولوجية تتميز بالصوت الواحد، والمنظور السردي الواحد، وهيمنة الرؤية الإيديولوجية الواحدة من بداية الرواية حتى النهاية، مع طغيان السرد، فإن الرواية البوليفونية تتميز بتعدد الأصوات، وتعدد اللغات والأساليب والرؤى الإيديولوجية، وكثرة الشخصيات، وتعدد الرواة والمنظورات السردية... وسنفرد لهذه الأسلوبية فصلا خاصا بها لأهميتها النظرية والتطبيقية.

المبحث السابع: المقارنة بين الأسلوبيتين: الفرنسية والأنجلو سكسونية

ثمة فوارق عامة بين الأسلوبية الفرنسية والأسلوبية الأنجلو سكسونية، فقد ظهرت الأسلوبية الفرنسية منذ وقت مبكر، واعتمدت على البلاغة والنحو

---

19 -Pierre Guiraud : **Essais de stylistique : Problèmes et méthodes.**1960.

20-Pierre Guiraud : **Les Structures étymologiques du lexique français** .١٩٦٧

والنقد الكلاسيكي. بمعنى أن الأسلوبية الفرنسية قد تشكلت وتبلورت قبل نشأة اللسانيات المعاصرة. في حين ، لم تظهر الأسلوبية الأنجلو سكسونية إلا في فترة متأخرة ،وبالضبط بعد ظهور اللسانيات الحديثة، فارتبطت ارتباطا وثيقا بلسانيات فيرث(Firth) الوظيفية، ولسانيات بلومفيلد وهاريس في أبعادها التوزيعية والنفسية والسلوكية، واللسانيات التوليدية التحويلية لنوام شومسكي ، ومع أبحاث كل من : ميشيل ريفاتير، وبلاوتش (Bloch)، وليفين (S.Levin) ، وهيل (A.Hill) ، وأوهمان(R.Ohmann)، وهاليداي(Halliday)، وإنكفيست(Enkvist)، وسبينسر(Spencer)، وغريغوري(Gregory)، وثورن (Thorne)، وفاولر(R.Fowler)... وقد طبقت الأسلوبية الأنجلوسكسونية مفاهيم السيكولوجيا السلوكية في استكشاف مقاصد الكتاب في آثارهم الأدبية، كما استثمرت مفاهيم نظريات الإعلام، واستعانت بمبادئ الإحصاء، واستفادت من اللسانيات والشعرية في مقاربة النصوص والأعمال الأدبية.

وبعد أن كانت الأسلوبية الأنجلوسكسونية تتعامل مع الأصوات والمقاطع والكلمات والجمل، فإنها مع الستينيات من القرن الماضي، قد تعاملت مع النصوص الإبداعية، ولاسيما الشعرية منها، وخاصة مع اللساني التوزيعي هاريس، مستفيدة في ذلك من تصورات بنيفنست ورومان جاكبسون.. كما كانت تتعامل مع الانزياح، لا كمعطى جزئي، بل باعتباره انزياحا نصيا كليا.

وإذا كانت الأسلوبية الأنجلوسكسونية قد تأثرت، بشكل من الأشكال، بالأسلوبية الفرنسية (رومان جاكبسون، وبنفينست، وسوسير، وغيرو، ...)، فإن الأسلوبية الفرنسية قد تأثرت بدورها بالأسلوبية الأنجلو سكسونية . والدليل على ذلك أن نيكولاي روفيت(N.Ruwet) قد تأثر بأسلوبية لفين (S.Levin) – مثلا-، كما تأثرت هذه الأسلوبية بلسانيات هاريس (Harris) ونوام شومسكي(N.Chomsky)، كما يتجلى ذلك واضحا عند كريماص(Greimas) وجوزيف كورتيس(J.Courtes)....

ومن جهة أخرى، فقد ركزت هذه الأسلوبية على مجموعة من المفاهيم، مثل : الكفاءة، والتحويلات، والانزياح، والقراءة، والتركيب، والخطاب، وقواعد الانتقاء والتحويل... بمعنى أن أسلوبية هذه المدرسة هي أسلوبية

لسانية بامتياز، على أساس أنها أسلوبية توزيعية من ناحية أولى، وأسلوبية توليدية تحويلية من ناحية ثانية، وأسلوبية تداولية مرتبطة بنظرية أفعال الكلام من ناحية ثالثة. في حين، تعتبر الأسلوبية الفرنسية أسلوبية أدبية من جهة، وأسلوبية لسانية من جهة أخرى.فهناك -إذاً- أسلوبية بنيوية سوسيرية، وأسلوبية تلفظية مع بنيفنست، وأسلوبية وظيفية مع أندري مارتينيه وجاكبسون وتروبتسكوي، وأسلوبية كلوسيماتيكية مع هلمسليف...

المبحث الثامن: الأسلوبية العربيـــة القديمـــة

من المعروف أن المثقفين العرب الأوائل قد اهتموا بدراسة الأسلوب بطريقة من الطرائق، كما يتجلى ذلك واضحا في الشروح والتفاسير والكتابات البلاغية والنقدية والفقهية والأصولية والكلامية والفلسفية، ولاسيما الجاحظ في كتابه(**البيان والتبيين**)[٢١]، وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه:(**دلائل الإعجاز**)[٢٢] و(**أسرار البلاغة**)[٢٣]، والباقلاني في كتابه:(**إعجاز القرآن**)[٢٤]، وحازم القرطاجني في كتابه(**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**)[٢٥]، وابن منظور في كتابه(**لسان العرب**)[٢٦]، وابن خلدون في مقدمته[٢٧]،فضلا عن كتب بلاغية ومدرسية قديمة... وقلما نجد كتابا تراثيا لم يعن بالأسلوب وصفا وتفسيرا وتأويلا، وذلك باستخدام مصطلحات أخرى، مثل: الصياغة، واللفظ، والبناء، والطريقة، والضرب،

---

[٢١]- الجاحظ: **البيان والتبيين**، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،مصر، الطبعة السابعة١٩٩٨م.

[٢٢]- عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية،دار الفكر، الطبعة الأولى سنة ٢٠٨م.

[٢٣]- عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة**، تعليق وتحشية: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر.

[٢٤]- الباقلاني: **إعجاز القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٦٣م.

[٢٥]- حازم القرطاجني: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**،تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨١م.

[٢٦]- ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٨١م.

[٢٧]- ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، لبنان، بدون تحديد لتاريخ الطبعة.

والنظم، والبيان، والفصاحة، والبلاغة، والكتابة، والتعبير، والأسلوب نفسه... وفي المقابل، يلاحظ غياب نسبي للدراسة الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا. وفي هذا السياق، يرى محمد الهادي الطرابلسي أن " التنظير للأسلوب عند العرب قليل .أما التطبيق فمعدوم، ويعني بالتطبيق التوفر على الأدب العربي، والنظر في خصائصه الأسلوبية- وهو يعتبر- على حق- أن التطبيق هو الممهد للتنظير، والميسر له، والمساعد على التقدم به. والملاحظ في مساهمة العرب القدامى في الكلام عن الأسلوب أن عبد القاهر الجرجاني هو أول من استعمل هذه اللفظة استعمالا دقيقا، دون أن يوليها كبير اهتمام.قال في تعريف الأسلوب:" واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوبا- والأسلوب ضرب من النظم، والطريقة فيه- فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيجيء به في شعره..."

أما حازم القرطاجني فهو أول من خصص للأسلوب فصلا معتبرا إياه فنا مستقلا بذاته في (منهاج البلغاء وسراج الأدباء). وبذلك، يعد عبد القاهر الجرجاني رائد الأسلوبية العربية .

غير أن العرب استعملت مصطلحات تندرج في إطار الأسلوب ومفهومه.وهذه المصطلحات هي: الفصاحة، والبلاغة، والبيان...ووظفتها في مجال النقد الأدبي بصفة عامة، ومجال البحوث القرآنية بصفة خاصة، وهي ترمي إلى الاستدلال على إعجاز القرآن بإبراز خصائصه البلاغية.فكان ذلك ضربا من الدراسة الأسلوبية...أما فيما يتعلق بتعريف العرب للأسلوب، فإن آراءهم في هذا الشأن كانت متفرقة لا تنتهي إلى تحديد دقيق للأسلوب، ومواقفهم منه كانت توفيقية، تجعل من الأسلوب جملة من القوالب الجاهزة الجامدة، وجملة من الصور ومن الإمكانات في التعبير مشتركة لاتختلف باختلاف الأشخاص، بل تختلف باختلاف الأغراض، ضبطها القدامى، وألزموا بها من جاء بعدهم."[٢٨]

و يبدو لنا من هذا كله أن الأسلوب عند العرب القدامى قد مر بمراحل عدة: الأسلوب باعتباره بيانا، والأسلوب باعتباره معنى ومقالا، والأسلوب باعتباره مقاما وسياقا، والأسلوب بمثابة زخرفة لغوية ومحسن جمالي،

---

[٢٨]- الهادي الجطلاوي: **مدخل إلى الأسلوبية**، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م، صص:١٢-١٣.

والأسلوب باعتباره مظهرا من مظاهر الإعجاز القرآني، والأسلوب بمثابة نظم، والأسلوب باعتباره محاكاة وتخييلا، دون أن ننسى اهتمامهم بالأسلوب ضمن إشكالية اللفظ والمعنى ، والأسلوب بين الحقيقة والمجاز، والأسلوب بين الوزن والقافية...

المبحث التاسع: الأسلوبية العربية الحديثة

إذا كان العرب القدامى قد اهتموا بالظواهر اللغوية والأسلوبية، مثل علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع، وعمود الشعر العربي، وأرسوا أسس البلاغة المعيارية، فإن الأسلوبيين العرب المحدثين، قد تسلحوا بالمقاربة الأسلوبية في وصف النصوص والآثار الأدبية، واستوعبوا المنجز الأسلوبي العربي القديم ، وانفتحوا على الدراسات الأسلوبية الغربية، مستلهمين مدارسه ونظرياته في تقويم الأسلوب، وتحليله، ووصفه، وتأويله.

هذا، وقد تطورت الدراسات الأسلوبية العربية حديثا مع أمين الخولي في كتابه(**فن القول**)[٢٩]، وأحمد الشايب في كتابه (*الأسلوب*)[٣٠]، وعبد السلام المسدي في كتابه(**الأسلوبية والأسلوب**)[٣١]، وسعد مصلوح في (**الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية**)[٣٢]، وشكري عياد في (**اتجاهات البحث الأسلوبي**)[٣٣]، ومحمد الهادي الطرابلسي في (**الشوقيات، دراسة أسلوبية**)[٣٤]، وحميد لحميداني في (**أسلوبية الرواية: مدخل نظري**)[٣٥]،

---

[٢٩]- أمين الخولي: **فن القول**، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧م.

[٣٠]- أحمد الشايب: **الأسلوب**، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

[٣١]-عبد السلام المسدي: **الأسلوب والأسلوبية**، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

[٣٢]- سعد مصلوح: **الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية**، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤م.

[٣٣]- شكري عياد: **اتجاهات البحث الأسلوبي**، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م.

[٣٤]- محمد الهادي الطرابلسي : **الشوقيات، دراسة أسلوبية**، المجلس الأعلى للثقافة،تونس، الطبعة ١٩٩٦م

[٣٥]- حميد لحمداني: **أسلوبية الرواية: مدخل نظري**، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م.

والهادي الجطلاوي في(**مدخل إلى الأسلوبية**)[٣٦]، وإدريس قصوري في(**أسلوبية الرواية**)[٣٧]، وصلاح فضل في(**علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**)[٣٨]، وعدنان بن ذريل في (**اللغة والأسلوب**)[٣٩]، و (**النص والأسلوبية**)[٤٠]، ومنذر عياشي في (**الأسلوبية وتحليل الخطاب**)[٤١]، ونور الدين السد في (**الأسلوبية وتحليل الخطاب**)[٤٢]، وبكاي أخذاري في (**تحليل الخطاب الشعري: قراءة أسلوبية في " قذى بعينيك" للخنساء**[٤٣])، وأحمد درويش في(**دراسة الأسلوبية بين المعاصرة والتراث**)[٤٤]، ومحمد عبد الله جبر **في (الأسلوب والنحو**)[٤٥]، ومحمد عبد المطلب في (**البلاغة والأسلوب**)[٤٦]، ومحمد عبد المنعم الخفاجي، ومحمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف، في كتابهم المشترك (**الأسلوبية والبيان العربي**)[٤٧].....

---

[٣٦]- الهادي الجطلاوي :**مدخل إلى الأسلوبية**، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

[٣٧]- إدريس قصوري: **أسلوبية الرواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١م.

[٣٨]- صلاح فضل: **علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥م.

[٣٩]- عدنان بن ذريل: **اللغة والأسلوب**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، طبعة١٩٨٠م.

[٤٠]- عدنان بن ذريل: **النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق**،منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سورية، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

[٤١]- منذر عياشي: **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، مركز الإنماء الحضاري، جلب، سورية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.

[٤٢]- نور الدين السد: **الأسلوبية و تحليل الخطاب** ، الجزء الأول، دار هومه، الجزائر.

[٤٣]- بكاي أخذاري: **تحليل الخطاب الشعري: قراءة أسلوبية في " قذى بعينيك" للخنساء**، وزارة الثقافة، الجزائر، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٧م.

[٤٤]- أحمد درويش: **دراسة الأسلوبية بين التراث والمعاصرة**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، طبعة ١٩٩٨م.

[٤٥]- محمد عبد الله جبر: **الأسلوب والنحو**، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

[٤٦]- محمد عبد المطلب: **البلاغة والأسلوب**، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م.

[٤٧]- محمد عبد المنعم الخفاجي، و محمد السعدي فرهود، وعبد العزيز شرف :**الأسلوبية والبيان العربي**،الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

المبحث العاشر: كيــف نقارب النص أسلوبيــا؟

من المعلوم أن الأسلوبية نظرية وتطبيق، والهدف منها هو البحث عما يميز النص أسلوبيا، ويخصصه فنيا وجماليا. بمعنى أن الأسلوبية تهتم باستكشاف خصائص النص الأسلوبية، وتبيان طبيعة الأساليب الموظفة في النص، وتحديد مكونات هذه الأساليب فهما وتفسيرا وتأويلا.أي: ربط الأسلوب بآثاره في المتلقي نفسيا وفكريا وجماليا، مع تحديد رؤية الكاتب إلى العالم في ضوء أسلوبه.

وينضاف إلى هذا أن المقاربة الأسلوبية تسعى إلى دراسة مكونات الكلام من: أصوات، ومقاطع، وكلمات، وجمل، وعبارات، وربطها بمجموعة من المقصديات المباشرة وغير المباشرة. كما أن الهدف منها هو ربط أسلوب النص بالكاتب نفسه طبق مقولة بوفون: "الأسلوب هو الكاتب نفسه". وفي هذا الصدد، يمكن الاستعانة باللسانيات، والبلاغة، والشعرية، والسيميائيات، والتداوليات، وجمالية التلقي، في مقاربة النص الأدبي أسلوبيا. ويعني هذا كله أن النص الأدبي يمتلك أساليبه الخاصة، وآلياته التقنية المتميزة التي تخصصه عن النصوص الأخرى. ومن ثم، فهناك حاجة ماسة إلى تبيان تلك الأساليب الموظفة، وتحديد خصوصياتها، واستكشاف جمالياتها الفنية. علاوة على ذلك، يمكن دراسة المكونات الاستبدالية في النص كما يرى ذلك رومان جاكبسون(Roman Jakobson)، ودراسة المكونات التركيبية كما يرى ريفاتير(M.Rifaterre). ولا يقتصر الأمر على دراسة المكونات الدلالية والتركيبية فقط، بل لابد من دراسة البعد الوجداني الذي يحمله الأسلوب، أو استخلاص الآثار الأسلوبية التي يحدثها النص في المتلقي أو القارئ.

وعليه، تعتمد الأسلوبية على مجموعة من الخطوات المنهجية التي تتمثل في قراءة النص بنية ودلالة وسياقا، مع استكشاف الوظيفة الجمالية أو الشعرية التي تنبني على محوري الاستبدال (الدلالة) والمجاورة (التركيب أو النحو)، وجرد مختلف الأساليب التي يوظفها المبدع أو الكاتب بنية

وتركيبا ودلالة ومقصدية، والبحث عن الأساليب الخاصة التي تميز الكاتب عن باقي الكتاب الآخرين، مع الاستعانة باللسانيات تارة، والإحصاء تارة أخرى. ثم، وصف النص أو المؤلف الأدبي في شتى خصوصياته الأسلوبية، والبحث عن بنياته الاستبدالية والتركيبية، وتبيان مختلف وظائفها اللسانية والدلالية والتداولية. كما تتخطى الأسلوبية الاستقراء البنيوي الداخلي للنص أو المؤلف الأدبي إلى استكشاف النفس والحياة والعالم والإيديولوجيا. بمعنى أن الأسلوبية قد تنتقل من الداخل البنيوي واللساني إلى الخارج النفسي والاجتماعي، ضمن ما يسمى بالأسلوبية السيكولوجية أو الاجتماعية.

وعلى العموم، حينما نريد تحليل النص أسلوبيا نقوم بجرد المعجم اللغوي، وتحديد حقوله الأسلوبية، واستكشاف كلماته الموضوعاتية المتواترة عبر عمليات الإحصاء، ثم دراسة أنواع الأساليب المستخدمة (أسلوب شاعري- أسلوب سردي- أسلوب درامي -أسلوب حواري- المنولوج- الأسلوب غير المباشر الحر- البوليفونية- السخرية- التهجين- التنضيد..)، ثم تبيان طبيعة اللغة ومستوياتها(الفصحى-الدارجة- اللغة الثالثة- اللهجات الشعبية....)، وجرد أنواع الصور البلاغية (صورة المشابهة- صورة المجاورة- صورة الرؤيا- صورة العلامة – صورة التآلف- صورة الاختلاف...)، مع رصد الانزياحات والانحرافات الصوتية والصرفية والدلالية والتركيبية والإيقاعية ، ثم دراسة الوصف بكل مكوناته، وأنواعه، ووظائفه، وبنياته الزمنية والصرفية والنحوية والتركيبية....وبعد عملية التحليل الأسلوبي، نصل إلى مرحلة استخلاص النتائج المتعلقة بخصوصيات الأسلوب، وفرادته، وأبعاده الدلالية والمرجعية.أي: نحلل الأسلوب في ضوء محطات ثلاث: البنية، والدلالة، والمقصدية.

هذا، وقبل ذلك، نوزع النص أو العمل الأدبي إلى فقرات أو مقاطع أو متواليات أو محاور للقراءة، فندرسها بشكل كلي، من خلال التوقف عند مستويات معينة. فحينما ندرس الشعر ، مثلا، نركز على الصوت والإيقاع والتنغيم، فالمقاطع الصرفية، ثم التركيب النحوي والبلاغي والتداولي، ثم الدلالة المعجمية، ويمكن التوقف أيضا عند عمليات التلفظ والبناء المعماري للنص أو العمل. وحينما ندرس السرد، فلابد من الإشارة إلى مختلف الأساليب السردية الموظفة، مثل: الأسلوب المباشر، والأسلوب

غير المباشر، والأسلوب غير المباشر الحر.وبعد ذلك، ننتقل إلى تحديد طبيعة اللغة، لرصد أنواع سجلاتها، وتعداد وظائفها. ويمكن دراسة بنية الزمن ترتيبا، ومدة، وتواترا. ونرصد أيضا مختلف وجهات النظر في علاقتها بوظائف الراوي، مع تحديد مكونات الوصف من خلال التوقف عند مجموعة من الصور السردية.

وعلى مستوى المسرح، ندرس مختلف الأساليب الموظفة في النص أو العمل الدرامي، مع تحديد طبيعة اللغة، وذكر أنواع سجلاتها تنضيدا وتهجينا وأسلبة، دون أن ننسى عمليات التلفظ، والإشارات الإخراجية أو الركحية، والبنية العاملية، والنظام التواصلي، وطبيعة التركيب المسرحي، والصور البلاغية والحجاجية...

ويتبين لنا من هذا كله أن الأسلوبية هي دراسة شكلية من جهة، ودراسة هيرمينوطيقية (الشرح والتفسير والتأويل) من جهة أخرى، تبحث عن المعنى.أي: إن الأسلوبية مقاربة شكلية ودلالية.

وبصفة عامة، تستثمر الأسلوبية مفاهيم مجموعة من التخصصات، كمفاهيم اللسانيات (الصوت-الصرف – المعجم-التركيب) ، ومفاهيم الشعرية (أدبية النص- التجنيس...)، ومفاهيم التداوليات (نظرية أفعال الكلام)، ومفاهيم النص الموازي (عتبات الداخل والخارج)، ومفاهيم البلاغة (الصور البلاغية والمحسنات البديعية)...

وفي هذا السياق المنهجي، يقول صلاح فضل :" أحسب أن أهم مجال للدراسة الأسلوبية ، عندما تنصب على تحليل خواص اللغة الأدبية، لابد أن يتعلق ببناء شبكة المتخيل الأدبي، عبر تحليل أشكال المجاز وأنساق الصور وتكوينهما للبنى التخييلية المستغرقة للنصوص بأكملها، فمثل هذا التحليل النوعي لتقنيات التعبير، وتوليدها للأبنية التصورية الكلية للأعمال الأدبية، هو الكفيل بتجاوز الخواص الجزئية في النصوص الأدبية، ومحاولة الإمساك بالطوابع المميزة لأساليبها الكلية، وعندئذ تصبح عمليات التقاط الظواهر الأسلوبية المختلفة مجرد خطوة إجرائية، لا تكتمل إلا بالتحليل النقدي الكفيل بالربط بين مستويات التعبير المتعددة، وسنرى فيما بعد أن الدراسة النصية التداولية التي وضعت تصورا كليا لما يطلق

عليه بمكعب البنية النصية ، تفسح مجالا واضحا للبحوث الأسلوبية في نسق التحليل الكلي للنصوص الأدبية."[٤٨]
وعليه، تستند المقاربة الأسلوبية إلى دراسة النصوص والخطابات والأعمال الأدبية بالتوقف عند ثلاث محطات رئيسة هي: البنية، والدلالة، والمقصدية، مع استثمار مجموعة من المستويات التحليلية، كالمستوى الصوتي والإيقاعي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي، والمستوى التناصي، والمستوى المناصي، والمستوى الوصفي، والمستوى المعماري، والمستوى المرجعي...

المبحث الحادي عشر: تقويـــــم الأسلوبيـــة

لاغرو أن يكون لكل منهج نقدي إيجابيات وسلبيات، وهذا ينطبق أيضا على الأسلوبية، باعتبارها مقاربة منهجية شكلية وبنيوية، يمكن استثمارها في دراسة النص الأدبي قراءة واستكشافا واستجلاء. ومن ثم، فمن إيجابيات الأسلوبية أنها بلاغة جديدة، تمتح مفاهيمها النظرية ، وتستعير آلياتها التطبيقية، من اللسانيات، والشعرية، والتداوليات، والبلاغة، والنقد الأدبي...كما تعد الأسلوبية منهجية نقدية لسانية ، تتسم بطابعها الشكلي والبنيوي. ومن ثم، فهي تميل إلى العلمية الموضوعية بشكل من الأشكال. وأهم ما تتسم به الأسلوبية بالمقارنة مع المناهج النقدية الأخرى أنها تدرس الأسلوب بنية ودلالة ووظيفة، وتعنى بأدبية النص، وتهتم بآليات التجنيس الأدبي، وتصف مختلف الأساليب اللغوية والإبداعية. كما تصف الظواهر الأسلوبية البارزة، سواء أكانت صوتية أم صرفية أم تركيبية أم دلالية أم تداولية. ولا تقتصر الأسلوبية في مقاربتها المنهجية على الأسلوب فقط، بل تهتم بالكاتب والنص والقارئ على حد سواء. ومن هنا، فإن الأسلوبية هي الوصف اللساني للنص الأدبي، في ضوء معطيات بنيوية ولسانية وشكلية. أضف إلى ذلك، أن الأسلوبية ، في مسارها التاريخي، قد انتقلت من التركيز على المؤلف والمبدع إلى دراسة النص الأدبي في فرادته واستقلاليته وانسجامه واتساقه. أي: انتقلت من الذاتية (المؤلف) إلى

---

[٤٨]- صلاح فضل: نفسه، ص:٩٣-٩٤.

الموضوعية (النص) ، ومن الطابع النفسي والتعبيري إلى الطابع العلمي بخصوصياته اللسانية والإحصائية والسيميائية والبنيوية.
بيد أن من أهم سلبيات الأسلوبية أن موضوعها لم يتحدد بدقة، ولم يتوضح مجالها التخصصي بشكل كاف؛ نظرا لتداخل الأسلوبية مع مجموعة من المعارف ، مثل: اللسانيات، والبلاغة، والتداوليات، والشعرية، والسيميائيات، والنقد الأدبي...ويعني هذا أن الأسلوبية لم تحدد بدقة موضوعها، ومجال اشتغالها، ومنهجيتها الخاصة في التعامل مع الظواهر الأسلوبية. وينضاف إلى هذا، أن المفاهيم التي تشتغل عليها، والمواضيع التي تؤرقها، هي المواضيع نفسها التي تناولتها العلوم والتخصصات الأخرى.وإذا أخذنا، مثلا، قضية الأدبية ، وتقعيد الأجناس الأدبية ، وقضية الانزياح، والحقيقة والمجاز، والصور البلاغية، فهي الاهتمامات نفسها التي اهتمت بها الشعرية، والبنيوية اللسانية، والسيميائيات، والتداوليات...علاوة على هذا، فالتركيز كثيرا على الأسلوب لسانيا وإحصائيا يحول الدراسة إلى وثيقة علمية وكمية وشكلية، تخلو من المتعة الانطباعية، وتفتقر إلى الجمالية الذوقية. ومن جهة أخرى، تعطى الأولوية للأسلوب على حساب الدلالة والمرجع. ويمكن القول مع كرانجي(G.Granger) في كتابه (**بحث حول أسلوبية الأسلوب**) ، ليس هناك أسلوب واحد، بل هناك أساليب متعددة ومختلفة حسب الكتابات والخطابات، فالأسلوب حاضر في الخطاب العلمي، والخطاب الإشهاري، والخطاب السينمائي، والخطاب التشكيلي...إلخ[٤٩].أي: إن الأسلوب حاضر في مختلف الكتابات الإنسانية.ومن ثم، يمكن الحديث عن أسلوبية عامة، وأسلوبية خاصة، ويمكن الحديث كذلك عن أسلوبية نظرية وأسلوبية تطبيقية. لذا، فالأسلوبية منهجيا تتأرجح بين الإبستمولوجيا وعلم الجمال.

وخلاصة القول: يتبين لنا ، مما سبق ذكره، أن الأسلوبية قد ظهرت في الثقافة الغربية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، قبل ظهور اللسانيات بمختلف مدارسها وفروعها، والهدف من ذلك هو وصف الخصائص الأسلوبية داخل الأثر الأدبي أو النص الإبداعي، باستكشاف مميزاته الفنية

---

[49] -Jean Dubois et autres : **Dictionnaire de linguistique**, p : 461.

والجمالية ، وتبيان أثر ذلك في المتلقي ذهنيا ووجدانيا. ومن ثم، فقد خرجت الأسلوبية من معطف البلاغة المعيارية لتتشابك منهجيا مع اللسانيات، والشعرية، والتداوليات، والسيميائيات...ومن ثم، فقد مرت الأسلوبية الغربية بمراحل أربع: مرحلة الكاتب، و مرحلة النص، ومرحلة القارئ، ومرحلة السياق. في حين، مرت الأسلوبية العربية بمجموعة من المراحل المتداخلة والمتشابكة التي يمكن تحديدها في مرحلة البيان، ومرحلة المعاني، ومرحلة البديع، ومرحلة النظم، ومرحلة المحاكاة والتخييل...ومن هنا، فالأسلوبية لا تقتصر على الشكل فقط، بل تتعداه إلى الفهم والتفسير الهيرمونيطيقي.أي: تجمع بين الشكل والمعنى.

هذا، وتتفرع الأسلوبية إلى مجموعة من الاتجاهات والمدارس، كالأسلوبية المثالية، والأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية المعاصرة، والأسلوبية الإحصائية، والأسلوبية اللسانية، والأسلوبية البنيوية، والأسلوبية البوليفونية...

هذا، و تستند الأسلوبية - منهجيا- إلى ثلاث خطوات أساسية هي: البنية، والدلالة، والوظيفة. ومن جهة أخرى، تستند إلى مجموعة من المستويات الرئيسة، مثل: المستوى اللساني، والمستوى الشعري، والمستوى التداولي، والمستوى البلاغي، والمستوى المناصي، والمستوى التلفظي.

وإذا كانت للأسلوبية مزايا عديدة تنظيرا وتطبيقا، فإنها ماتزال عالة على المناهج النقدية الأدبية الأخرى، تستعير منها مفاهيمها، وتقتبس منها مصطلحاتها الإجرائية، إلى أن اختلطت هذه الأسلوبية بمجموعة من التخصصات العلمية المعروفة، كاللسانيات، والسيميائيات، والشعرية، والتداوليات، والبلاغة، والنقد الأدبي...، فانصهرت فيها منهجا، وموضوعا، ومفهوما، وأداة.